

أثر استخدام استراتيجية النحو التعليمي في تنمية الملكة اللسانية

د. بوزيدي محمد

جامعة معسكر

ملخص :

نحاول من خلال هذه المقالة الكشف عن أهمية النحو العربي وعلاقته في تنمية الملكة اللسانية لدى المتعلم ،ومعرفة ما إذا كان للمعارف النحوية المحصلة أثر على بناء المهارات اللغوية وترسيخ قوانين اللغة العربية في ذهن المتعلم ، وخاصة إذا اعتبرنا أن النحو العربي لا يخرج عن كونه نظرية لسانية وقفت على وصف المعارف النحوية و التدقيق في الظواهر التركيبية في اللغة . ففي طيات هذا البحث سنحاول الغوص والتعمق في مادة النحو كونه أحد علوم اللغة العربية، يهدف إلى تحديد الأساليب التي تكونت بها الجمل، ومواضع الكلمات، ووظيفة كل منها، بالإضافة إلى ذلك فإنه يعمل على تحديد الخصائص النحوية كما أن له دور كبير في تمكّن المتكلم من التخلص من اللحن والتكلم بلغة سليمة وصحيحة، الأمر الذي يؤدي إلى استقامة اللسان وتنمية الملكة اللسانية.

الكلمات المفتاحية : النحو ،التعليمية ، الملكة ،اللسان

Using educational grammar strategy and its effect
on the development of the linguistic competence

Abstract

This paper is an attempt to reveal the importance of Arabic grammar and its role in the development of the learner linguistic competence, and to know whether the required grammatical knowledge has influenced the building the linguistic skills, and the consolidation of the Arabic language rules in the learner's mind, especially if the Arabic grammar is considered no more than a linguistic theory intended to describe the grammatical knowledge and scrutinizing the structural phenomenon in the language.

Through this research, we will try to look deeply into the grammar as a science of Arabic language, aiming at determining the methods by which sentences are formed, the position of words and the function of each one. In addition to identify the grammatical properties, as well as it has an important role in enabling the speaker to get rid of the mistakes and use a correct language, and that leads to straighten the tongue and develop the linguistic competence .

Keywords: grammar, didactics, competence, tongue.

تمهيد :

جهود النحاة في تعليم النحو العربي لا تكاد تنقطع عبر العصور ، منذ نشأة النحو إلى يومنا هذا ،وهو أمر طبيعي - فيما نزعم - ،ذلك أن الأمر يتعلق بقانون اللغة العربية ،ونظامها الذي لا يمكن أن تتعلم إلا به ، ففي هذا الشأن تذكر الدراسات التاريخية التي تدور حول تعليمية النحو جهودا بدأت تظهر منذ ألف الكسائي علي بن حمزة كتابه المختصر في النحو ،والموجه لبعض ولد الرشيد وهو الكتاب يهدف في أساسه تبسيط النحو للناشئة ،مرورا بمؤلفات نحوية عديدة حملت اسم المختصر ،أو المقدمة ككتاب المختصر في النحو للبيدي الذي ألفه لبعض ولد مأمون ،وكتاب المختصر في النحو لهشام بن معاوية الضرير.¹

وككتاب الجمل في النحو للزجاجي الذي مدح من بعضهم ،وعد من أحسن الكتب التعليمية ، لبعده عن التعقيد في المسائل النحوية ، وتعد أهم غاية تعليمية ينبغي تحقيقها في الميدان ،وصولاً إلى مؤلفات تعليمية جادة ،كمؤلف الأجرومية لابن

آجروم الذي صار مثلاً يحتذى به، والذي لازال محتفظاً بكونه كتاباً مدرسياً مفيداً بامتياز إلى يومنا هذا، وقد شرح فيه أكثر من مئة شارح انتهاء بمؤلفات حديثة كلها تحاول أن ترقى بالدرس النحوي و بطرائق تبليغه للمتعلم من أجل تيسير وتسهيل عملية التثبيت والاكساب.

تعليمية النحو عند اللغويين التربويين:

نقلت الكتب و الدارسات التي تتبع الشأن النحوي في لغتنا العربية أن اللغويين التربويين ، أي المهتمين بالبحث في تدريس اللغة العربية و بالأخص قواعدها النحوية و الصرفية انقسموا في نظرتهم لتدريس النحو العربي إلى فريقين أو اتجاهين : فريق يرى أنه من المفيد أن يكون تعليم النحو العربي ضمنياً من خلال أنشطة اللغوية المختلفة ، وفريق آخر يرى أنه لا مندوحة من تدريس النحو العربي في حصص مستقلة و سنحاول هنا توضيح وجهة نظر كل فريق والحجج التي يتحجج بها².
الفريق الأول : يرى أصحاب هذا التوجه أنه من الممكن الاستغناء عن تدريس القواعد اللغوية في حصص مستقلة ، كمنهج قائم بذاته ، وحجتهم الأساسية تتمثل في الآراء التالية³:

- 1- إن اللغة تكتسب بالحاكاة ، فالأطفال يكتبون اللغة في بداية الأمر من الآباء و البيئة دون عناء أو شرح وعلى هذا الأساس نستطيع أن نعلمهم القواعد اللغوية بطريقة عرضية في دروس الأدب و القراءة.
- 2- إن اللغة ظهرت ونشأت قبل القواعد ، ولم تكن بحاجة إلى معرفة القواعد آنذاك
- 3- تعد القواعد ذات طبيعة فلسفية تؤدي إلى نفور الطلبة من اللغة ، وضعف قابلية التعلم .
- 4- إن إتقان القواعد و التمكن منها لا يعني القدرة على التعبير و استعمال اللغة استعمالاً صحيحاً ، ومناسباً مع المواقف التواصلية المختلفة⁴.
- 5- أن القواعد عديمة الفائدة و تعليمها في هذه المرحلة لا يؤدي إلى صيانة اللسان والقلم عن الخطأ ، وهي حجة كان يمكن أن تنال قدراً من المصادقية في نظرنا لو لم تكن مبرراتها منعدمة إذ تشهد التجارب التعليمية المطبقة على مجموعة من العينات عكس ذلك⁵.
- 6- ويرى هذا الفريق أيضاً أن القواعد اللغوية غير قادرة على إكساب التلاميذ مهارات التعلم الأساسية⁶ ، و حجتهم أن الغالبية العظمى من المتعلمين يحفظون هذه القواعد ، ويستظهرونها يكتبون بأسلوب ركيك و عبارات سيئة للغاية ، مما يعم رأيهم حسب زعمهم أن الكثير من الأدباء البارزين قليلوا الإحاطة بهذه القواعد ومع ذلك يكتبون بلغة سليمة ، ويتكلمون بأساليب فصيحة⁷.
- رأي الفريق الثاني : يرى أصحاب هذا الاتجاه أن تدريس القواعد النحوية أمر ضروري ولا مناص منه ، وهذا راجع للأسباب المنطقية التالية :

- 1- تعتبر القواعد وسيلة جوهرية لتمييز الخطأ ، و تجنبه في الكلام⁸.
- 2- إن مثل المحكاة التي يمكن أن يحكيها المتعلم الآن غير متوافرة ، مما ستلزم ضرورة توفير مناخ لغوي يعيد إلينا المحكاة المفقودة .
- 3- تعتبر تعليمية النحو من وسائل التدريب المهمة على التعليل ، والاستنباط و التمرن على دقة التفكير⁹.
- 4- تساهم القواعد النحوية للغة العربية في فهم القرآن في معانيه ودلالاته ، وأيضاً في استنباط الأحكام اللغوية.
- 5- إن الصعوبة في درس القواعد النحوية قد لا يكون مردها القواعد نفسها إنما تعود على المدرس ، أو المنهج ، أو طريقة التدريس أو صعوبة الكلمة¹⁰.

6- وما رد به بعضهم أن وقفنا أكثر حاجة إلى القواعد ، لأن لغتنا الدارجة بعيدة كل البعد عن الفصحى ،ولان اللغات العالمية الأخرى تنافسها ¹¹ ،وهو رد صائب ومقنع فنحن نعيش اليوم واقعا لغويا مرا ،مما يستدعي التدخل العجل في تبني مناهج تدريسية أكثر دقة.

التوفيق بين الرأيين : لقد حاول بعض الدارسين التوفيق بين الرأيين ومن بينهم الباحث عبد العليم إبراهيم :

1- إمكانية استخدام الطريقة العرضية في السنوات الأولى من الدراسة الابتدائية و تأخير القواعد بشكلها المنظم المقصود إلى السنوات الأخيرة من المرحلة الابتدائية.

2- أن يتم اختيار الموضوعات النحوية المدروسة تبعاً لأهميتها الوظيفية في الحياة اليومية و ما تحقق في عملية الكلام

3- تمكين المتعلمين من الأسس اللغوية بالتدرج وفق الطاقة الاستيعابية و الإدراكية تماشياً مع القاموس اللغوي. ¹²

دور النحو في بناء المهارات اللغوية - الملكة اللسانية - :

فمما سبق يمكننا أن تسأل هل يمكننا تنمية ما يسميه ابن خلدون الملكة اللسانية دون تدريس القواعد النحوية ؟ أو قد لا يحتاج صاحبها إلى علم النحو ،أي لا يحتاج النحو علماً إنما يحتاجه ممارسة و أداء في المواقف اللغوية المختلفة ،وهذا ما عبر عنه ابن خلدون أثناء حديثه عن صلة النحو بالملكة اللسانية حين قال عنها إنها علم بكيفية لا نفس كيفية ¹³ ، فهناك فرق إذن بين الملكة و قوانين الملكة / النحو / أي بين العلم النظري و الممارسة العملية. ¹⁴

وعليه نرى أن تحصيل المهارات اللغوية لا يكون بتعلم القوانين وحدها ،و، ما ينبغي أن تصاحبها الممارسة الفعلية للسان العربي عن طريق التدريب و التكرار المستمر للمهارات المختلفة (الاستماع ، التحدث ، الكتابة) . ومعلوم أن المهارة تتكون من الاستماع ،وهذا ما عناه تقريبا ابن خلدون بقوله فالمتكلم من العرب حين كانت اللغة العربية موجودة فيهم يسمع الكلام أهل جيله و أساليبهم في مخاطبتهم ،وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم ، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فليقنها أولاً ، ثم يسمع التراكيب بعدها فليقنها أولاً، ثم يسمع بعدها فليقنها كذلك ، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل المتكلم و استعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ومنه يخلص أحمد مذكور إلى القول بأن الملكة اللسانية التي كانت يتمتع بها العرب قديماً لم تكن جبلة و طبعا وإنما حصلت لمن حصلت له نتيجة للعرف ،والعادة و المعاشة المستمرة للنطق الفصيح في بيئة الفرد اللغوية. ¹⁵

وقد استنبط أحمد مذكور من رأي ابن خلدون في اكتساب الملكة اللسانية مجموعة من الأفكار جمعها في النقاط التالية ،وتمثل في:

- 1- يقر ابن خلدون أن تربية الملكة اللسانية لا يضرها عدم حفظ القواعد النحوية .
- 2- يرى ابن خلدون أن تربية الملكة اللسانية يمكن أن يحصل دون حفظ القواعد ،وهذا الأمر ممكن لأن الحفظ لمنظوم الكلام ،ونثره يبني على حفظ نحوي ضمني ، ومن ثم فحفظ هذا الكلام ينمي الملكة اللسانية السليمة والصحيحة.
- 3- يرى ابن خلدون أن اللغة ملكة تكتسب بالتعلم ،والمران و الدربة وهذا الأمر قد أقرته حديثاً كل النظريات التربوية
- 4- إن تربية الملكة لا تحصل إلا عبر حفظ النصوص الراقية ،والشواهد الحية و على مدار المحفوظ ،وكثرة الاستعمال تكون جودة المصنوع نظاماً ،ونثراً .
- 5- أن يتم تناول النصوص كما هي تنطق فعلاً ،وان تدرس صوتاً ،وصرفاً ،وتركيباً ،ودلالة ،وهذا هو المفهوم الحديث للنحو.
- 6- إن الملكة اللسانية لا ترقى من خلال الحفظ دون القهم ،فالملكة تحصل من الحفظ و الفهم معاً. ¹⁶

لكن ما ينبغي أن نشير إليه في هذا المقام أن تحصيل المهارات اللغة العربية يجعلنا في صلب النظريات التعليمية للغات، فالنظري السلوكية التي تأسست على خاصية المثير و الاستجابة وبالتكرار للمثير تتكرر معه ظهور الاستجابة تترسخ عن طريقها الأنماط اللغوية، غير أن اللغة نراها أعمق من مثير المتبوع باستجابة كون اللغة سلوك ونظام محكم يتعلمه الكائن البشري من خلال الممارسات السلوكية أثناء تطبيق المبادئ النحوية بأسلوب مباشر أو غير مباشر، وأيضاً من خلال التعبيرات للنصوص المستعملة، ومعنى هذا الأساس فالنظرية السلوكية تتوافق مع طرح ابن خلدون، وخاصة عندما يعتبر السماع أبو الملكات اللسانية، ومن ثم يجب أن يدرب المتعلم على مهارات الاستماع في بداية الأمر حتى يتمكن من انتقال إلى مهارات الكلام ومن خلال ذلك يتدرج المتعلم في تعلم الأنماط اللغوية، ومن ثم يتمكن من تعلم النحو ومبادئه وخاصة إذا كان مدمج في النصوص اللغوية والمواقف التواصلية.¹⁷

وهذا يعني أن الطريق إلى لتعليم العربية لغة، ونحو ينبغي أن يكون على هذه النمطية، غير أن ذلك لا يكون مفيد في كل مراحل التعليم، والمواقف التعليمية وإنما يصلح فقط للمراحل الأولى من التعليم المتوسط وقد يبقى صالحاً استعمالاً في المرحلة الثانوية، بمعنى دوره يكون تكميلياً لا أساسياً، ذلك أن المرحلة الثانوية تتطلب وعياً أعمق وتبصر وفهم أدق للغة، وهذا ما نجد في النظرية المعرفية التي ترى أن حدوث التعلم يكون من خلال الفهم الواعي لنظام اللغة كشرط أساسي لإتقانها، وأن الفهم اللغوي سابق على الأداء، وشرط لحدوثه.¹⁸

وهو أمر غير منكور، فتوفر المتعلم على درجة من الوعي لنظام اللغة يسهل له عملية الفهم ويمكنه من التعلم، والحقيقة أن وعي المتعلم لأنماط اللغوية، ومحتوياتها المعرفية يكون أمراً يسيراً للعملية التعليمية¹⁹، ومعنى هذا النظرية المعرفية تتوافق مع الرأي اللغوي القائل أن اللغة محكومة بقواعد أو نظم ثابتة وإدراك العقل لهذا النظام يمكن الفرد من ابتكار اللغة المبني على الفهم أكثر من التكرار الآلي غير الواعي، ولعل هذا هو الفارق بينه وبين السلوكيين، ومما تؤكد النظرية المعرفية هذه في تعليم المهارات الأربع في وقت واحد مع السيطرة على النظام اللغوي في كل مستوياته، والتركيز أيضاً على عنصر الاستعمال. وهناك عدد من المعايير، التي تمثل دليلاً مناسباً لاختيار المهارات المطلوبة لأي برنامج لتعليم اللغة العربية وقد حددها مجاور في:²⁰

- 1- مدى تكرار المهارة في استعمالات الأطفال والكبار.
 - 2- مستوى الصعوبة، وملاءمة المهارة للنمو اللغوي والاستعداد العقلي.
 - 3- مدى ارتباط المهارة بقدرة المتعلم اللغوية، وعلاقتها بكل اللغتين: الشفهية والكتابتية.
 - 4- مدى ارتباط المهارة بتحقيق الوظائف الاجتماعية والنفسية للغة.
 - 5- مدى ارتباط المهارة بما عند المتعلم من خبرات.
- أهداف تعليمية النحو في اللغة العربية :

ومن خلال ما سبق ذكره تتضح أهداف تعليمية النحو في اللغة العربية في العناصر التالية:²¹

- 1- الفهم الكامل للمسموع والمقروء بهذه اللغة.
- 2- التعليم بها، ومعناه أن تكون لغة نقل العلوم والمعارف.
- 3- تدريب المتعلم على الكتابة الصحيحة والنطق السليم.
- 4- تكوين ملكة الحكم والنقد والتحليل للأساليب والتراكيب اللغوية.
- 5- يساعد على التفكير العلمي المنظم لأنه يعتبر رياضة للعقل.

الخاتمة :

وخلاصة القول و من خلال هذه المقالة المتواضعة يتضح أن رؤية الفريق الأول صالحة لمرحلة معينة من التعليم وتكون صالحة أكثر لو اجتمع تمكن من صنع بيئة لغوية صالحة للمحاكاة، تساعد على نمو الملكة اللسانية، وكلما ارتقينا في درجات التعليم يفقد هذا الرأي صلاحيته، والرأي الثاني كان صالحاً و مفيداً حين غابت البيئة اللغوية الصالحة لتنمية الملكة اللسانية، وتزداد أكثر كلما تدرجنا في مراحل التعليم، وخاصة التعليم المتخصص في الدرس اللغوي الأدبي، فنحن لا نتصور نجاحاً لمتخصص في الدراسات الأدبية، أو اللغوية دون تعمقه في المعطيات النحوية لتلك اللغة. وضرورة استعمالها في كافة المجالات الحياتية وخاتمة خلاصتنا هذه هي أن الغرض من تعليم النحو هو تكوين الملكة اللسانية الصحيحة، فإن كانت الملكات اللسانية تتكون بالتعود والتكرار فإن صحة هذه الملكة تكون بالنظام النحوي.

هوامش البحث:

- 1 علي أبو المكارم ، تعليم النحو العربي - عرض وتحليل - ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط01، سنة 2007، ص31.
- 2 محسن علي عطية ، الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، القاهرة 01، سنة 2006، ص270.
- 3 المرجع نفسه ، ص270.
- 4 المرجع نفسه السابق ، ص270.
- 5 عبد الفتاح حسن البجة ، أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها ، دار الكتاب الجامعي الإمارات العربية المتحدة ، ط01، سنة 2001، ص279.
- 6 المرجع نفسه ، ص279.
- 7 المرجع نفسه السابق ، ص279.
- 8 محسن علي عطية ، الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، ص270-271.
- 9 المرجع نفسه ، ص270-271.
- 10 احمد صومان ، أساليب تدريس اللغة العربية ، دار زهران للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص210.
- 11 عبد الفتاح حسن البجة ، أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها ، ص281.
- 12 محسن علي عطية ، الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، ص270.
- 13 عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، دار القلم بيروت ، لبنان ، ط 11، سنة 1992، ص560.
- 14 علي أحمد مدكور ، طرق تدريس اللغة العربية، دار المسيرة لنشر والتوزيع والطباعة ، ط01، سنة 1996، ص2007.
- 15 المرجع نفسه ، ص95.
- 16 المرجع نفسه السابق ، ص99.
- 17 المرجع نفسه السابق ، ص101.
- 18 فهد خليل زايد ، في تعليمية اللغة العربية ، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع عمان ، دس، ص145.
- 19 المرجع نفسه ، ص158.
- 20 ابراهيم محمد عطا ، المرجع في تدريس اللغة العربية ، مركز الكتاب للنشر ، مصر ، ط02، سنة 2006، ص140.
- 21 فخر الدين قباوة المهارات اللغوية و عروبة اللسان ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط01، سنة 1999، ص70، 71.